المصطلح السردي الحديث
في ضوء البلاغة القديمة
(قراءة في الوعي الجمالي للإنسان)

المؤتمر الأول لكلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، 29-31 مارس 2008

ليس هذا الطرح اختلاقا لعلاقات متوهمة بين التراث والمعاصرة، ولكن هنالك فرضا منهجيا يؤسس لهذه الرؤية المرصودة، يتعلق بتكامل العلوم الإنسانية، وتفاعلها في كل الحقول المعرفية المتعلقة بدراسة الأدب.

إننا لا نزال نعترض على تناول الموروث البلاغي بوصفه علما نضج واحترق، ولم يعد فيه ما يستحق معاودة النظر وإعمال الذهن، ولكننا إذا أردنا أن نتحول بهذا الاعتراض من إطار النوايا الطيبة، إلى إطار البحث والتطبيق، فلا سبيل لدينا إلا ببعث جذوة الوعي بجماليات التواصل مع ما تيسر من حقول التجربة الفنية الإنسانيةفي أتون هذا الرماد المطروح، و على الرغم من قائمة الأحكام المسبقة التي تلتصق ببنية البلاغة التقليدية، من إغراق في التقريرية، والشكلية، والخطابية، فإن البلاغة – على الرغم من هذا – تنطوي على عطاء موفور من الأشكال المتعددة لأنماط الصناعة الأدبية، صاغها البلاغيون العرب على أعينهم، إذ استنبطوها من نصوص الأدب شعرا، ونثرا، وطبقوها على آي القرآنالكريم، فاكتمل بناء ٌ وطيد الأركان، يحتوي على تنوع هائل في المصطلحات التي لم تدع ظاهرة أسلوبية في الأدب الموروث إلا وأحاطت بها، وحددت معاقدها، في تعريف "جامع مانع" – وفق تعبير المناطقةينطوي على تسمية محددة ومسمى ً مقنن.

وقد مكن هذا التنوعُ الملحوظُ لتراث َ الاصطلاحي البلاغي من التماس ّ مع كثير من الأنماط الاصطلاحية التي أفرزتها الدراسات الأسلوبية والبنيوية المعاصرة، وهو ما من شأنه أن يفتح بابا وسيعا، نستطيع أن نلج منه إلى اكتشاف الدوائر المتقاطعة بين الموروث البلاغي القديم – من جانب –، والعطاء الأسلوبي والبنيوي الوافد – من جانب آخر –.